المعلوماتية والمعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي
الجامعة الجزائرية أنموذجا

Informatics and scientific knowledge in the sociological field the Algerian University as a model

إعداد

د. إيمان حمري
Dr. Eman Hamri
جامعة أكلي محند أولحاج- البويرة

د. حنان بن ضياف
Dr. Hanan bin Dhiaf
جامعة محمد بوضياف- مسيلة

Doi: 10.21608/jinfo.2021.201686

استلام البحث : ٦ / ٨ /٢٠٢١ **قبول النشر: ١٨ / ٨ / ٢٠٢١**

حمري ، إيمان و ضياف ، حنان (٢٠٢١). المعلوماتية والمعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي- الجامعة الجزائرية أنموذجا. ***المجلة العربية للمعلوماتية وأمن المعلومات***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب ، مصر، مج ٢ ، ع ٥، ص ص ٥٧ – ٧٤.

المعلوماتية والمعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي- الجامعة الجزائرية أنموذجا-

المستخلص :

يمثل علم الاجتماع أحد أهم العلوم في بناء المجتمعات الحديثة بحيث لا يمكن لأي دولة متطورة أن تخطو خطوة ببرنامج ناجح إن لم تعتمد على رؤى علم الاجتماع، فهو من أبرز العلوم الحيوية التي تلعب دورا هامّا في مواجهة متطلبات التكيف والتعامل، إلا أن هذا العلم في العالم العربي بصورة عامة والجزائري بصورة خاصة ظل علما مهمشا ومقهورا هو ودارسه في أوساط التعليم الجامعي نظرا للتوزيع العشوائي للطلبة على التخصصات وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى توازن مختل في خرائط الوظائف والمهن حيث يتم ترشيح قلة قليلة من الطلبة المتفوقين إلى التخصصات الصلبة كالطب والهندسة في حين يوجّه البقية إلى سلة علم الاجتماع ، هذا لأن الجامعة نسق اجتماعي تتأثر بالمجتمع الذي تتواجد به قبل أن تكون فضاء تعليميا عاليا تلقى شهرتها الأكاديمية فيما تنتجه من معارف علمية، ومن هنا يبدأ صراع الإنتاج السوسيولوجي وتحديات نقل المعرفة السوسيولوجية في الجامعات المغاربية والجزائرية الذي يميزه الواقع، ففي كل سنة تعرف الجامعات تخرج عدد من الطلبة في مستوى الليسانس والماجستير وكذا تقديم أطروحات للمناقشة تكون فيها تلك الأطروحة ان كانت في المستوى المطلوب العمل النهائي للطالب الذي ليس بعده عطاء في الحقل الأكاديمي بصورة عامة والسوسيولوجي بصفة خاصة.

الكلمات المفتاحية : السوسيولوجيا، المعرفة العلمية، الجامعة الجزائرية

Abstract

Sociology represents one of the most important sciences in building modern societies so that no developed country can take a step with a successful program if it does not depend on the visions of sociology, it is one of the most important biological sciences that plays an important role in facing the requirements of adaptation and dealing, but this science in the world The Arab in general, and the Algerian in particular, remained a marginal and oppressed science, and he and his student in the university education circles given the random distribution of students to the majors, and this necessarily leads to a dysfunctional balance in the maps of jobs and professions, where a few few outstanding students are nominated to solid disciplines such as medicine and engineering while directing The rest is to the basket of

sociology, this is because the university is a social system influenced by the society in which it exists before it is a highly educational space that receives its academic reputation for its scientific knowledge, and from here begins the struggle of sociological production and the challenges of transferring sociological knowledge in the Maghreb and Algerian universities that are characterized by reality. Every year universities know a number of students graduating at the bachelor's and master's level as well as presenting theses for discussion in which that thesis is if it is at the required level the final work of the student who is not yet a tender in the academic field in general and sociology in particular,

Key words: sociology, scientific knowledge, Algerian University

مقدمة:

يعتبر علم الاجتماع أحد أهم مجالات المعرفة الإنسانية التي أصبحت تدرس بالجامعات الجزائرية، وأخذ مكانته ضمن مجموعة التخصصات المتوفرة بالجامعة، وهذا ما نلاحظه من خلال زيادة أعداد الطلبة المسجلين بهذا الفرع، وكذلك من خلال ارتفاع نسبة المتخرجين في هذه التخصصات مقارنة مع السنوات الماضية. فمن خلال عملية التدريس يتم نشر وتعليم المعرفة السوسيولوجية وتعميمها، هذه المعرفة التي يكون أساسها البعد الابستمولوجي من خلال البحث العلمي الاجتماعي في كل تخصصاته المتاحة (علم الاجتماع السياسي، الثقافي، الاتصال، الحضري/الريفي، العائلي، التربوي، وغيرها من التخصصات الأخرى)، والقائمة على أصول المعرفة وعلى الموضوعية، ثم توظيف هذه المعارف خدمة للعلم ولقضايا المجتمع.

ويهتم علم الاجتماع بدراسة طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الأنساق الاجتماعية من خلال تقديم فهم موضوعي للمجتمع وللأنساق والأنظمة المكونة له، والكشف عن الأسباب والمتغيرات المؤدية إلى ظهور الظاهرة، والفهم الموضوعي للنسق الجامعي يكون بدراسة وتحليل مكونات النسق، وظائفه وأدواره، ودراسة العلاقات بين الفاعلين في النسق وتفاعلاتهم مع بعضهم البعض، وسلوكاتهم، وتصوراتهم ومواقفهم، ودراسة العلاقة بين النسق الجزئي (الجامعة) والنسق الكلي (المجتمع).

في سياق هذا الطرح لابد على المشتغلين بحقل العلوم الاجتماعية إعطاء الأهمية لقضايا القطاع والتركيز على الوظائف والأدوار المناطة به والمنتظرة من الجامعة، وطرح إشكالية المعرفة، وأزمتها، والوقوف على التحديات التي تواجه المنظومة الجامعية في ظل

التحولات المتسارعة، والتحديات التي أفرزتها ثورة المعلومات والاتصالات في عالمنا المعاصر بفعل العولمة، والبحث في أسباب وعوامل عجز المنظومة الجامعية من مواجهة هذه التحديات والاستجابة لها، والبحث عن طرق تطوير القطاع وتجديده بما يتماشى ومتطلبات العصر لتحقيق التنمية. وتعتبر قضية الجامعة من القضايا المهمة التي ينبغي دراستها وإجراء بحوث عليها في كل التخصصات، وتناولها من كل الجوانب والأبعاد لما لها من تأثير وتداعيات على مختلف القطاعات الاقتصادية التنموية، والعمل على إيجاد حلول لمشكلاتها.

أولا- الإسهاب المفاهيمي لمفاهيم الدراسة:

المعرفة العلمية:

أشار علماء الاجتماع إلى المعرفة بأنّها: العملية التي يدرك بمقتضاها الفرد ويفسر ما يحيط به، ويشم الإدراك مجموعة المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر المحيطة به(badawi zaki:١٩٨٥)

أمّا بخصوص المعرفة العلمية فقد أشار باشلار إلى أنّ العلم لا يخرج من الجهل كما يخرج النور من الظلام لأن الجهل ليس له بنية بل يخرج من التصحيحات المستمرة للبناء المعرفي السابق، حتى أن بنية العلم هي إدراك أخطائه والحقيقة العلمية هي تصحيح تاريخي لخطأ طويل، والاختبار هو تصحيح الوهم الأولي المشترك(غاستن باشلار:١٩٦٩، ص٩٣).

فالمعرفة العلمية تتعلق بادراك الطالب أو الباحث لمختلف الأمور التي تحيط به وذلك من اجل تحليل وتفسير مختلف الظاهر والحقائق المرتبطة به.

السوسيولوجيا:

ارتبط ظهور علم الاجتماع بالعالم أوغست كونت حيث اطلق عليه اسم الفيزياء الاجتماعية تيمنا بالعلوم الطبيعية ، ولقد استعان كونت هذه التسمية من كتابات أستاذه سان سيمون، ثم أطلق عليه سنة ١٨٣٨ اسم علم الاجتماع (عبد الله بن محمد عبد الرحمن: ٢٠٠٧، ص ٤٤)

وأول من استخدم مصطلح السوسيولوجيا هو أوغست كونت إلا أن الفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت مل استعمل هذا المصطلح في انجلترا خلال الفترة التي عاش فيها كونت ، و ظهر استعمال هذا المصطلح في كتابه علم المنطق الذي نشره عام ١٨٤٣. (جمال معتوق: ٢٠٠٦، ص 11)، أما علماء الاجتماع فيحددون أنواع مميزة لتعريف علم الاجتماع و ندرجها كما يلي : (محمد إبراهيم عبد المجيد: ٢٠٠٧، ص ١٨)

أوغست كونت : لم يضع كونت تعريفا محددا لعلم الاجتماع بقدر ما أكد عل أهمية وجود هذا العلم ليدرس كل الظواهر التي تدرسها العلوم التي سبقت على ظهور علم الاجتماع .

هربرت سبنسر: يتصور أن تحديد علم الاجتماع بأنه العلم الذي يصف ويفسر نشأة وتطوير النظم الاجتماعية مثل الأسرة و الضبط الاجتماعي والعلاقات بين النظم .
اميل دركايم : يؤكد على أن الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع هو دراسة الظواهر الاجتماعية .
ماكس فيبر: انه العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي وذلك من اجل الوصول إلى تفسير سيئ لمجراه ونتائجه .

الجامعة*:

ولقد تعددت مفاهيم الجامعة من قبل المؤلفين و الباحثين و يقصد بالجامعة كل نمط للتكوين يقدم على مستوى ما بعد الثانوية من طرف مؤسسات التعليم العالي و يمكن أن يقدم تكوين تقني على مستوى عال من قبل مؤسسات معتمدة من طرف الدولة (الجريدة الرسمية : ١٩٩٩ ، ص ٠٥)

وتعرف أيضا أنها قمة الهرم التعليمي وأعلى المستويات تتوج المراحل السابقة، المختلفة من اجل إعداد مختلف إطارات أزمة التنمية، لها فلسفته، أهدافها ومتطلباتها (زرقان ليلى: ص ٣) ولقد جاء مصطلح التعليم العالي كمرادف لمصطلح التعليم الجامعي فالجامعة تختص بكل ما يتعلق بالتعليم الجامعي و البحث العلمي و تمثل مجامع علميا يهتم بالبحث عن الحقيقة من أجل خدمة المجتمع و تستمد نشاطها من العنصر البشري الذي يملك كفاءات عالية للأداء الجيد من أجل تقديم الخدمات المتنوعة باستعمال العلوم و التكنولوجيا (أحمد زرزور: ٢٠٠٦، ص ١٣) فنستعمل في كثير من الأحيان مصطلح الجامعة للتعبير عن التعليم العالي وهي أكثر الأنماط انتشارا، وتضم مجموعة من المعاهد و الكليات والتي تضم بدورها مجموعة من الأقسام تمتد مدة الدراسة فيها عموما ٤ سنوات (ليسانس) إضافة إلى الدراسات فيما بعد التدرج وهذا في البرنامج الكلاسيكي أما البرنامج الحديث فعمر الدراسة ٣ سنوات (ليسانس) سنتين ماستر و3 سنوات دكتوراه هذا في مجمل التخصصان ماعدا تخصص الطب والعلوم الهندسية التي تتجاوز الدراسة فيها هذه المدة .

---

*الجامعة لغة تعني التجميع والتجمع، وتشير إلى التجمع، والقراءة معا، وقد استخدمت في القرن الثالث عشر من قبل الرومان لتدل على مجموعة حرفيين، تجار، ثم استخدمت في القرن الثامن عشر بمعنى كلية في أكسفورد بانجلترا لتدل على مكان تجمع المجتمع المحلي للطلاب متضمنا مكان الإقامة العينة والتعليم (مرسي : ١٩٧٧ ، ١٠)

تعني كلمة جامعة وهي بالأصل كلمة لاتينية universitas، الجمعية التي تتولى ممارسة التعليم و لم تأخذ معناها الجامعي الحديث الا بعد وقت ، و ظهر مفهوم الجامعة حينما تم الاعتراف بجامع بولونا bologne بايطاليا و بعدها جامعات أخرى من قبل البابا و إمبراطور روما (هادي : ٢٠١٠ ، ص١٤)

ثانيا: علم الاجتماع والطالب الدارس له؟:

لم يظهر علم الاجتماع بالمغرب العربي تلبية لحاجة مجتمعية، أو كاستجابة لدراسة مشاكل اجتماعية عانى منها المجتمع بل وجد في كليات الجامعات كتقليد لما هو موجود في المعاهد الأكاديمية الأوروبية والأمريكية، وبواسطة هذا التقليد نقلت جميع ميادين ومواضيع، نظريات ومناهج علم الاجتماع الغربي إلى المجتمع الجامعي العربي والمغاربي(وكان ذلك بداية الخمسينات من هذا القرن). وهذا يعني أساتذة وطلبة هذا التخصص المجتمعي تسلموا قوالب جاهزة للفكر والنظرية والمنهج والدراسات الاجتماعية، ولم يبذلون أي جهد في دراسة مجتمعهم سواء كانت لظواهره أو مشاكله بل انكبوا على ترجمة ما درس في الغرب وهذه تبعية علمية(معن خليل العمر: ١٩٩١، ص٣١٩). ومن العوامل التي زادت من تأزم علم الاجتماع العربي بالمغرب نذكر ما يلي:

١) من يوجه إلى علم الاجتماع: إن الوفدين على تخصص علم الاجتماع والموجهين على مصلحة التوجيه ليسوا من الطلبة المتفوقين أو ذو المستوى العالي، ولا حتى المقبول (الضعفاء)، والذين لم يسمح لهم بالتسجيل في التخصصات الأخرى، إضافة إلى العدد الهائل الذين يطلبون التحويل إلى قسم علم الاجتماع بعد فشلهم في الشعب الأخرى، وما هو مشاهد في القادمين إلى قسم علم الاجتماع والمحولين هم في الأصل من كل التخصصات ودون أية دراسة معمقة أو مستفيضة تقبل، وهذا لضمان الكم على حساب النوعية. كذلك نجد أن أغلبية الطلبة الوافدين على علم الاجتماع هم من الطبقات الدنيا حيث التوجيه الجامعي توجيه قهري يعمل المسؤولون من وراءه على إنتاج التقسيم الطبقي وتكريس مبدأ الفوارق الاجتماعية والثقافية. (الفضيل رتيمي:2014)

في سياق ما تم طرحه يمكن القول بأن نوعية الطلبة الوافدين على أقسام علم الاجتماع دخل في الوضعية الراهنة لهذا العلم. كما أنه لا يمكن فهم هذه الوضعية دون التعامل مع قضية توجيه الطلبة إلى علم الاجتماع ووضع سياسة الكم على حساب النوعية، والتمييز مابين التخصصات. (جمال معتوق: ٢٠١٥، ص٠٢)

٢) ***المادة العلمية:*** إن أزمة علم الاجتماع ترتبط أساسا بما يقدمه العلم ذاته ويجعلهم يتميزون به عن غيرهم من أصحاب التخصصات الأخرى. كما وترتبط بوضعية التي تجعله مرفأ أخيرا يلجأ إليه الطلبة حينما تعجزهم الحيل عن اختيار تخصص مرموق. وهو ما جعل أعداد الملتحقين بأقسام علم الاجتماع تصل لمستويات هائلة لا تمد بصلة لحاجة سوق العمل. ومدى الاحتياج المجتمعي لهذا التخصص وهو الأمر الذي جعل بعض القائمين على هذا العلم يتوهمون أهمية غير حقيقية

لتخصصهم لا ترتبط بالواقع المعيشي بصلة، وهو الذي أفضى في الوقت نفسه إلى أن تتحول أقسام علم الاجتماع إلى أقسام كمية على حساب الكيف. (صالح سليمان عبد العظيم: ٢٠١٠، ص ٠٥)

وانعكس المحتوى الذي يتلقاه الطلبة على نوعية الأبحاث التي تم إنجازها سواء في إطار إعداد مذكرة الليسانس أو ديبلوم الدراسات المعمقة وغيرها من الشهادات الأكاديمية التي كانت صورة طبق الأصل لما تلقوه من تكوين ما عدا الإستثناءات التي حاولت كسر هذه القاعدة. في ثنايا هذا الطرح يمكن القول أن التكوين الذي كان يقدم والذي يقدم حاليا وكما هو معلوم لخدمة اتجاه سياسي وإيديولوجي معين له أهداف خاصة تتمثل في نظام اقتصادي واجتماعي منسجم مع الأهداف المتوخاة منه.(أحمد عماد الدين خواني:٢٠١٥، ١٦ص)

وفي الأخير يمكن القول وعلى حد تعبير الدكتور **" فضيل رتيمي "** أن من التحديات التي تنتظر علم الاجتماع LMD ومع فتح تخصصات ذات علاقة بعالم الشغل. ومنه يصبح لنا أن نتساءل أين تكمن آفاق هذا العلم في ظل التناقضات التي يحملها كل من المسؤولين والمشتغلين بهذا العلم من جهة والطلبة من جهة ثانية؟

ثالثا- الممارسة السوسيولوجية بالبيئة الجامعية الجزائرية:

ابتدأ مسار الجامعة الجزائرية بجامعة الجزائر وهي أول مدرسة أنشأت في العهد الاستعماري بالجزائر بدأت ناطها منذ سنة ١٨٣٣ وكان يشرف على التدريس أساتذة عسكريون، في البداية كانت توجه هذه الدروس إلى الطلبة الأروبيون فحسب غير أنه وبموجب مذكرة لوزير الحربية تم إصدارها في ١٨٣٣/٠٦/١٠ ، تم قبول الطلبة الجزائريون ، وكانت هذه الدروس في هذه المرحلة مقتصرة على علم التشريح و الفيزيولوجيا الوصفية إلا انه تم توقيف هذه الدراسة سنة ١٨٣٥ م بقرار من الجنيرال كلوزيل وتم اقتراح إعادة فتحها عام ١٨٥٤ بقرار من المجلس البلدي للجزائر وتم فتحها رسميا بمرسوم مؤرخ في ٠٤ أوت ١٨٥٧ ولم تبدأ نشطها إلا ابتداء من عام ١٨٥٩ ، وقد وضعت هذه المدرسة تحت إشراف كلية الطب بمون بوليه و بموجب القانون المؤرخ في ٢٠ ديسمبر ١٨٧٩ المنشئ للمدارس العليا بالجزائر، تحولت المدرسة إلى المدرسة العليا للطب والصيدلة وبموجب القانون المؤرخ في ٣٠ ديسمبر ١٩٠٩ حولت المدرسة إلى كلية الطب و الصيدلة بالجزائر، ومن بين طلبة هذه الكلية الذين برزوا في تاريخ الجزائر بن يوسف بن خدة الذي تحمل اسمه هذه الجامعة، التحق بها في سنة ١٩٤٣ بعد التحاقه بحزب الشعب الجزائري سنة ١٩٤٢ وتحصل على شهادة صيدلي سنة ١٩٥١ (ابراهيم ابن داود، ب س، ٠٥) .

ولم تعرف الجزائر نظاما جامعيا خاصا بالجزائريين إلا بعد الاستقلال المعلن عنه في ١٩٦٢. سيتطور النسيج الجماعي تطورا هائلا. بفعل ديموقراطية التعليم والانفجار

الديموغرافي وكذا بفعل تكوين الدولة وعديد من المؤسسات العمومية عددا كبيرا من الكوادر والمؤهلين (بين الستينات وأواسط الثمانينات. حاليا، تنيف المدن ذات الجامعات أو المدارس العليا على العشرين، تستقبل أكثر من ٣٠٠٠٠٠ طالب. كان هذا التصور بوتيرة سريعة جدا إذ علمنا أنه، عشية الاستقلال ، لم يكن الطلبة الجزائريون سوى خمسمائة نفر يتابعون الدراسة بالجزائر أو بالخارج . (حسن رمعون: ١٩٩٦، ص)

منذ ١٩٦٢ ومع ميلاد الدولة الجزائرية المستقلة عرف التدريس في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية تقلبات عديدة، فإذا حصل الاتفاق على أنّ الوظيفة الأولى والأساسية للجامعة هي نشر وإنتاج المعرفة، غير أنّ هذه الوظيفة قد اصطدمت بالواقع الاجتماعي، وعرفت في مجال العلوم الاجتماعية ضغطا اجتماعيا وسياسيا، من خلال تدخل النسق السياسي الّذي حال غالبا دون احترام المقاييس العلمية في إنتاج المعرفة، إذ تمثل في البداية كل الاهتمام إلى تحقيق مبادئ عادة ما كانت توصف بالسمو والقداسة تمثلت أساسا في الجزائر، والتعريب وديموقراطية التعليم، دون احترام قواعدها أو الآثار التي يمكن أن تنتج عنها:

- لم يعد النشاط البحثي الخاص بكل أستاذ قاعدة للتقييم والاعتراف بالكفاءة سواء داخل النسق الجامعي أو خارجه، ومنها التخلي عن الكفاءة الخارجية لتترك فراغا ملحوظا لتجسيد ما يسمى بالسوسيولوجيا الوطنية (نورة قنينة: 2004، ص١٩٩).
- وتجلت انعكاسات التعريب أساسا على بعدين:

- **الأول**: اعتبار علم الاجتماع علما رياديا أوكلت له مهمة استرجاع عناصر الهوية الوطنية، والثقافية الإسلامية، وهذا ما أطر دور عالم الاجتماع باعتباره على هذا الأساس؟ مناضلا قياديا يشرف على توظيف معرفته لخدمة مشاريع التنمية التي يتطلع إليها المجتمع، من أجل بناء مشروعه الحضاري.
- **الثاني**: تجلى في ترجمة الأبحاث من لغتها الأصلية سواء الفرنسية أو الانجليزية، دون التحري بالحذر بالتعامل مع المفاهيم وارتباطاتها النظرية، ومن قمة انعكاساتها على الممارسة العلمية والابداع الفكري خصوصا أنّ أغلب الطلبة الملتحقين بعلم الاجتماع هم من المعربين الّذين يجدون صعوبة في التعامل مع المراجع الأصلية المكتوبة باللغات الأجنبية، ومنه يمكن أن نفهم أنّ الممارسة السوسيولوجية ركّزت على مبدأ الأصالة من خلال فرض الذات العربية على ماهو معرفة غربية منقولة أدّت إلى محدودية فعالية المعرفة السوسيولوجية، وإلى ما يسمى بمعرفة خاصة، بلغة خاصة و بثقافة خاصّة، وهي في الواقع ليست معرفة منتجة (نورة قنينة: ٢٠٠٤،ص٢٠٠).

- نشر مؤسسات التعليم العالي عبر كامل التراب الوطني مع عدم توفر الإمكانيات المادية للجامعات– خاصة في المرحلة الأولى -لتتحمل تبعات ديمقراطية التعليم ومجانيته على حساب نوعيته وجودته، مما انعكس على علم الاجتماع من خلال : ضعف الاحتكاك بين الطلبة، أشكال تكوين طلبة علم الاجتماع وما يتطلبه سوق العمل، إذ نجد مخرجات قسم علم الاجتماع غير مطلوبة من طرف سوق العمل، خاصة في الوقت الراهن(عنصر العياشي: ١٩٩٤، ص٦٤).

ويلمس صاحب النظرة النقدية الفاحصة والممحصة، للممارسة السوسيولوجية في الجزائر وجود نوع من السطحية في التفكير السوسيولوجي، حيث بدأت مع بعض المدارس وظهر علم الاجتماع كعلم قائم بذاته، ثم سرعان ما وقع علم الاجتماع في حيرة أمام الظواهر الاجتماعية المتهاطلة التي أفرزها الواقع الاجتماعي، وتزعزعت المعرفة السوسيولوجية مع انهيار الاشتراكية وظهرت البرجوازية على أنقاض انتكاسة علم الاجتماع، لتعود الممارسة السوسيولوجية إلى التساؤل الذي انطلقت منه في البداية حول :ما هو علم الاجتماع؟ .وماذا يدرس؟...الخ (نورة قنينة: ٢٠٠٤، ص٢٠٢).

وظهرت مدارس جديدة لتعيد النظر حتى في تعريف علم الاجتماع، وماذا يدرس هذا العلم؟، وحصل الخلاف حول موضوع هذا العلم، ولم يحصل الاتفاق حتى على المنهج، لذلك يقال أن علم الاجتماع" كثير المناهج قليل النتائج"، وجسدت الممارسة السوسيولوجية من خلال المدارس التي ظهرت مع الرأسمالية الجديدة خدمة النظام القائم، فاعتقدت الوظيفية أن كل ما هو موجود في المجتمع لديه وظيفة ضرورية .بينها اعتبرت الماركسية أكثر مصداقية لأنها ثارت ضد النظام القائم واعتبرته من خلال تحليلاتها وممارساتها السوسيولوجية متنبأة له بأنه يحمل بذور فنائه، واقترحت النظام الاشتراكي كبديل لا مفر منه(عبد الرحمن بوزيدة: ٢٠١٠، ص12).

وجاءت الممارسة السوسيولوجية في الأبحاث على مستوى الجامعة الجزائرية أكثر تشوها من المنحى العالمي لمسار السوسيولوجيا، حيث اتجهت الدراسات والأبحاث غالبا إلى تبرير الأوضاع القائمة وعقلنتها على حساب تقهقر الفكر النقدي الذي يعتبر كفيل بكشف الرهانات والمصالح المعلنة والخفية داخل الأنساق الاجتماعية، وفي علاقاتها التفاعلية بالمجموعات الاجتماعية المسيطرة(عنصر العياشي: مرجع سابق،ص٢٥)

ويحدد **" جمال معتوق "** في دراسته عن الممارسة السوسيولوجية بمعهد علم الاجتماع بالعاصمة عن تجربة الممارسة السوسيولوجية بالجزائر في كون التجربة

الجزائرية هي التجربة الأولى التي أقحمت في مجال السوسيولوجية الفرنسية...والجزائر ظلت البلد الوحيد الذي لم يهتم بالتأريخ لأهم المراحل التي مر بها علم الاجتماع فيها. هذا ما نعكس سلبا على الدراسات المستقبلية حول الممارسة السوسيولوجية بالجزائر...للإهمال وتقصير المسؤولين والمشتغلين بعلم الاجتماع. (أحمد عماد الدين خوافي : ٢٠١٥، ص١٣)

وتاريخيا فقد عرفت الممارسة السوسيولوجية بالجزائر مرحلة تبعية البحث العلمي في إطار خطاب إيديولوجي قائم على تكفل الدولة بانجاز مشروع وطني، ثم انتقل البحث السوسيولوجي إلى مرحلة الممارسة القائمة على التفكير حول الشروط الابستمولوجية لوضع أسس تقاليد سوسيولوجية في بلادنا. (أحمد عماد الدين خوافي: ٢٠١٥، ص١٠)

وكما يقر" **معن خليل العمر** "في كتابه " نحو علم اجتماع عربي" أن هناك تقليد نقدي من طرف علماء الاجتماع المغاربة، فمنهم من تبنى النظرية الماركسية وأقحمها على دراسة جميع ظواهر ومشاكل المجتمع المغاربي ناقدا أنظمه وأنساقه وأنماطه، إلا أن هذا التبني لم يكن صادقا أو مؤمنا بل جاء كتقليد للمتخصصين في علم الاجتماع في أوروبا، وكذلك كمصدر سريع للتكسب المادي والشهرة السريعة، فهؤلاء ينقدون الواقع والظواهر الاجتماعية من أجل النقد فقط وفي تلك الفترة الزمنية كان مفهوم النقد يحتل مكانا طليعيا بين الكتاب والمفكرين ولا يعطون البديل المناسب للمجتمع العربي، بل يقدمون طروحات جاهزة ومصطلحات منحوته، ومفاهيم محدودة مسبقا في بيئات مجتمعية غير عربية ولا تمثل مرحلته التطورية التي يمر بها. (معن خليل العمر: ١٩٩١، ٣٢٠) وعلى حد تعبير علماء سوسيولوجيا المعرفة أن لفهم الفكر لايكون إلا بالحفر في الأعماق بحثا عن النشأة والتكوين والشروط الوجودية في التاريخ، وإكتشاف أطر المعرفة وأيضا اكتشاف المسكوت عنه والمنفي الفعال الذي أخفاه الخطاب أو النص. وكما حد تعبير " كارل مانهايم" إن الفهم الأعمق للانسان أو المجتمع يكون من خلال فهم ومعرفة تاريخية النشأة والتكوين، تطوره، صراعاته، مكاناته، ومواقفه. (عنصر العياشي: ١٩٩٩، ص٧٣)

في ثنايا هذا الطرح يمكن القول بأن التنظير، والتحليل وطرح مفاهيم ومصطلحات غربية بعيدة كل البعد عن واقع الأحداث الاجتماعية التي تتبلور في ضوء خصوصية عربية مغاربية أكثر. وهناك فئة ثانية تبنت النظرية الماركسية إلا أن هاتين الفئتين من علماء الاجتماع بجامعات الدول المغاربية لم تستطيع أن تجتاح الحاجز الذي وضعوه بينهم وبين واقعهم الحي ويدرسوه كما هو لا كما يجب أن يكون. (معن خليل العمر:١٩٩١، ص٣٢٠)

لقد حاول **"لوي ورث"** في كتابة "الايدولوجيا و اليوتوبيا "الذي ألفه **"كارل مانهايم"** توضيح أهم أسباب ركود المعرفة البيولوجية وهو تفسير ينطبق على علم الاجتماعي بدول المغرب العربي وذلك حين ميز بين مجموعتين من العوامل:

الأولى وتتمثل في المحددات التي تفرض على العلم فرضا إكراهيا قسريا من خارجه. وإذا كانت المجموعة الأولى تشير إلى علاقة علم الاجتماعي بالنظام الاجتماعي الذي هو جزء منه يتأثر به، ويفترض انه يجب أن يؤثر فيه،فان هذا النظام يحوي جملة الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية،وما يترتب عليها من عناصر ثقافية وسياسية تؤثر في النشاط العلمي ومنتجه والمشتغلين به،الذي عليهم أن يأخذو موقفا،فكرا وسلوكا،إقرارا أو إنكار أو حتى مواقف وسطية.

الثانية وتشمل العقبات،والصعوبات الناتجة من داخل العلم النفسية، وإذا كانت المجموعة الثانية تشير إلى حالة العلم نظرية ومنهجا ،وموقف من المجتمع متمثلا في الوظائف التي على العلم أن يقوم بها فان كلتا المجموعتين متفاعلتين، أثرتا في النشاط العلمي وتوجهاته، وأفضتا فيه في الوطن المغاربي إلى النظرة إليه نظرة لامبالاة وإهمال ،فانحصر بذلك في التلقين داخل قاعات التدريب غير متجاوز أسوار الجامعات في الكثير من الأحيان. (عبد الباسط عبد المعطي: ١٩٩٠، ص٦)

إن فهم أوضاع علم الاجتماع في الوطن المغاربي بحاجة إلى تحليل تاريخي ومعاصر للأوضاع وضرورة ربطها بالإطار المرجعي الذي أحاط بها وأنه لابد من منطلقات أساسية تقود عمليات التحليل والفهم ،وإلا فقد الباحث طريقه وأحاط به عدم الرؤية ويضاف إلى هذا ضرورة تحديد مهام علم الاجتماع في كل مرحلة تاريخية يمر بها المجتمع المغاربي. (عبد الباسط عبد المعطي: ١٩٩٠، ص١٦٢)

إن الممارسة السوسيولوجية كثيرا ماكانت محدودة جدا ولا تزال في العديد من المواقع المعرفية المتعددة لأن فاعليها تميزوا بتوقفهم الأكيد عند حدود الطرح الكلاسيكي القديم إن كان الماركسي أو الوظيفي، ليتحول الانتاج المعرفي ودون الاقتراب من الواقع الحقيقي. كما ويمكن أن نلتمس واقع انتاج المعرفة السوسيولوجية من خلال الممارسات السياسية التعسفية بدءا بادماجه مع العلوم الاجتماعية الأخرى حيث أفقدته خصوصيته المعرفية ووجوده الجامعي كعلم قائم بذاته ليتحول إلى تابع غير مرغوب فيه وفي ذيل الترتيب، وربما أيضا تغيب لهذا العلم بدولنا إرتبط بفاعليه والمنشغلين بالحقل المعرفي الذين تعايشو مع الوضع لدرجة الانسياق أمام العجز عن تغيير وضع سياسوي معرفي بامتياز. (نورة قنيضة :١٠١٦، ص١٣٧)

رابعا: الصعوبات أو العوائق التي تواجه الباحث السوسيولوجي العربي:

إن تهميش البحث العلمي في ميدان علم الاجتماع يعود لعوامل كثير موضوعية وذاتية، مادية ومعنوية وفي كل الحالات فان ذلك يعبر بصدق عن طبيعة الرهانات المرتبطة بإنتاج واستعمال المعرفة الاجتماعية ويتجسد ذلك في وضعية علم الاجتماع في بلدان المغرب العربي المتميزة بسيطرة نزعة تقنوية قوية تمثلها وتدافع عنها مجموعة من الامتثاليين الذين لا يستطيعون إنتاج معرفة نقدية حول المجتمع فيقومون بدلا من ذلك بإنتاج خطاب عقيدي حول المعرفة لا يتجاوز الحدود التي ترسمها السلطة والقوى الاجتماعية المسيطرة في كل تجلياتها. وقد حرم ذلك المجتمع من النظر إلى نفسه نظرة نقدية متخصصة والتساؤل حول مساره، ما أتاح له الاستمرار في دوامة من الزيف الذي لم يعمل سوى على زيادة حدة التناقضات والصراعات إلى درجة أضحت تهدد المجتمع في كيانه. (العياشي عنصر: ١٩٩٩، ص٧-٨)

لقد تميز مجال البحث العلمي عموما وفي علم الاجتماع خصوصا بتبعية واضحة ومؤكدة للتصورات والانشغالات المعبر عنها من قبل السلطة السياسية، وقد تحققت تلك التبعية من خلال آليات عديدة لعل أهمها التوجه الإيديولوجي وعملية التمويل. ونقصد بالتوجه الإيديولوجي أن معظم الأبحاث التي جرت في علم الاجتماع سواء كانت لتلبية طلب اجتماعي مباشر وصريح صادر من قبل مؤسسة رسمية أو اندرجت في إطار دراسات جامعية ذات طابع أكاديمي موجهة نحو تحضير شهادات ودرجات علمية، هذه البحوث في معظمها خضعت لتصورات الإيديولوجية المسيطرة.(عنصر العياشي: ١٩٩٩، ص١٦١)

هذه التبعية في مجال البحث العلمي علم الاجتماع لا يفسرها الانقياد والخضوع للتوجهات الإيديولوجية المرحلية التي تفرض نفسها على الباحثين من خلال آليات الانتقاء والتصفية القبلية (اقتراح محاور البحث من قبل الهياكل الوطنية لجان دراسة وتقويم مشروعات البحث). والتبعية تفسر أيضا من خلال التمويل المباشر وغير المباشر لتلك البحوث.(عنصر العياشي: ١٩٩٩، ص١٦٢)

كما وتوجد العديد من الأسباب التي ساهمت ولا تزال في تعمل على إضعاف الواقع الاجتماعي للسوسيولوجيا بوطننا المغاربي والتي تعتبر الأهم لأنها تتعلق بثقافة أفراد المجتمع، حيث نجد في الغالب أن هناك انفصال بين الفكر والفعل الاجتماعي في حياتنا حيث إرادة ولا منهج، ولا وعي نقدي بالوسيلة والهدف، قطيعة بين الفكر ومقتضيات الواقع ومنهجية الانجاز، أو فن وتقنية العمل التي تعتبر خبرة وممارسة وثقافة اجتماعية وتاريخية في تلاحم مع الفكر المنهجي وهذا

مـا يعكـس وجـود قطيعـة بـين واقعنـا الاجتمـاعي وبـين تفكيرنـا الـذي غالبـا مـا يكـون مستمد من جهات غربية. (شوقي جلال: ب س، ص٨٣)

وفـي هـذا السـياق يـرى الـدكتور الجزائـري **" يوسـف سـعدون"** أن اهتمامـات علمـاء الاجتمـاع العـرب بصـفة عامـة مازالـت تصـب فـي نفـس اهتمامـات رجـال الفكـر السوسـيولوجي الغربـي، ويكفـي أن نراجـع وقـائع النـدوات والمـؤتمرات التـي نوقشـت فيهـا اشـكالية " علـم الاجتمـاع العربـي" لنـرى إلـى أي مـدى يعـاني هـذا العلـم مـن التـدهور والاغتـراب. حيـث نلاحـظ الانفصـال الكامـل بـين الفكـر والعمـل، أو بـين التـراث النظـري والواقـع الامبريقـي وانحيـاز علمـاء الاجتمـاع للتـراث النظـري الغربـي. (يوسف سعدون: ٢٠١٥) ويمكن حصر هذه العوائق في الترسيمة الآتية:

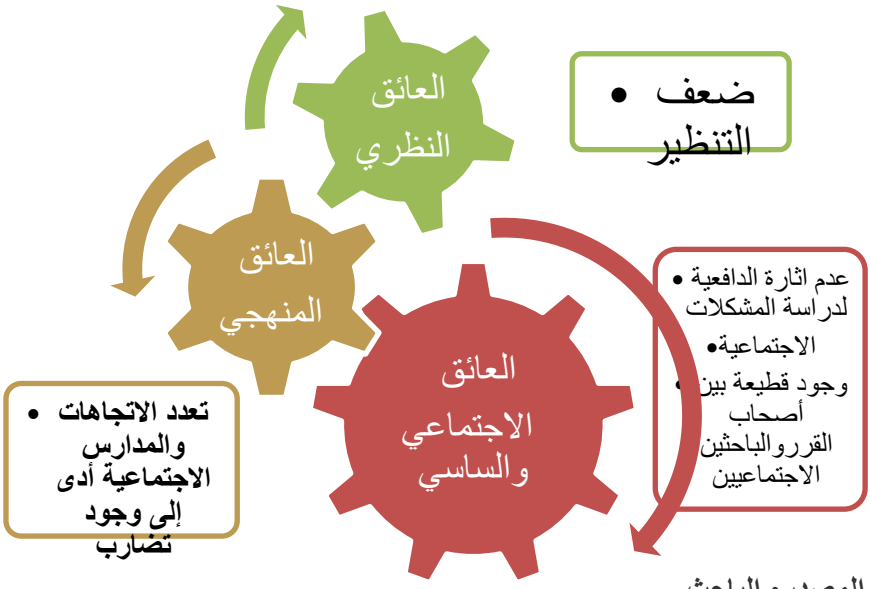

المصدر: الباحث

العائق النظري :

يتمثل في الضعف النظري لدى الاجتماعيين العرب، حيث أنّ غالبيتهم لا يطلعون إلا على النصوص الأساسية للنظريات المطروحة، لذلك يواجهون صعوبات حقيقية في الحكم الموضوعي على الآراء والتيارات والاتجاهات.

العائق المنهجي:

يلعب هذا العائق دورا كبيرا في عرقلة تطور العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ويمكن الموافقة هنا جزئيا على الرأي القائل إن دراساتنا الاجتماعية تعود اما إلى الاتجاه المادي

الجدلي والتركيز على الصراعات، أو إلى الاتجاه البنيوي والوظيفية، أو إلى الاتجاه الذي لا يتقيد باتجاه ولا يلتزم بنظرية أو منهج، فالخاصية الكبرى لعلم الاجتماع العربي أنه لا ينتمي إلى اتجاه وحيد، أو إلى منهج معين أو مدرسة اجتماعية بعينها، أي أنه علم بدون هوية محلية خاصة بها نابعة من مشكلات وممارسات المجتمعات العربية.

العائق الاجتماعي والسياسي:

بحيث يشكو الاجتماعيون العرب من أن المؤسسات التي يعملون في إطارها لا تشجعهم على إثارة المشكلات الجديدة و الموضوعات الخلافية، فالباحث في البلدان العربية يصنف ضمنا أو عرفا الموضوعات إلى حسّاسة أو غير حسّاسة وهو نهج فعّال على صعيد الإنتاج السوسيولوجي في البلدان العربية.

أما فيما يتعلق بالجانب السياسي يرى عدد كبير من الباحثين العرب إن المؤسسات الرسمية، خصوصا صاحبة القرار بحذر بالغ إلى ما يقوم به الباحثون الاجتماعيون من دراسات وغوص في أعماق المجتمع وأنساقه المختلفة، وهناك قطيعة واضحة بين أصحاب القرار والذين يمتلكون ناصية المعارف العلمية الاجتماعية ، إن عملية اتخاذ القرار محتكرة في يد نخبة سياسية لا تؤمن بالمنهج العلمي الإيمان الكافي، كما أنّها لا تسعى لبرمجته والأخذ بيد العلوم وخاصة الاجتماعية منها إلى طريق النور لأنّها ترى أنّها ستمثل لها فيما بعد أكبر عائق، وهذا أحد أسباب عدم فاعلية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي ككل .(جميلة شلغوم : 2012/2013، ص ٩٣)

خاتمة:

خلاصة للورقة البحثية يمكن أن نرجع أهم الأسباب المساهمة وبشكل كبير في أزمة علم الاجتماع بالإضافة إلى المحددات السابقة من واقع الممارسة السوسيولوجية بالجامعة المغربية و ازمة انتاج المعرفة السوسيولوجية بالمجتمع المغاربي نجد كذلك سبب آخر يتمثل في غياب الوعي الكافي بأهمية هذا العلم في تحليل المجتمع والعلاقات بين أنساقه، حيث يركز على ضرورة التفكير النقدي للمجتمع وممارسته خلال مراحل تحوله حيث تسعى المعرفة السوسيولوجية إلى تأطير المجتمع في إطار نسق من العلاقات والتفاعلات والتمثلات قصد المساهمة في تطوير طرق التفكير وتغيير نوع العلاقات الاجتماعية القائمة لمسايرة التحولات السوسيو ثقافية التي يشهدها المجتمع ككل.

ولإحداث التغير والتقدم في المجتمعات لا بد وأن تكون الجامعة هي المساهم الأوّل في تنميته في جميع جوانبه ، من خلال ما تنتجه من معارف و ابتكارات في الميدان العلمي فهو الأساس الأوّل لكل الدول ، ولكن من المؤسف أنّ هذه الابتكارات العلمية قد غابت عن الجامعة الجزائرية خاصة في الحقل السوسيولوجي رغم التزايد الكبير للمنتمين لهذا العلم كعلم أكاديمي يدرس لا غير فأصبح الأستاذ مقدما للمحاضرات فحسب و الطالب مستهلكا لا

ناتجا ولا مجددا، ومن هنا فنحن نعيش أزمة انتاج المعرفة السوسيولوجية وفقدان هويتها في المؤسسات الجامعية الجزائرية.

المراجع :

الكتب :

١ – الطيب جيد، محمد بودرمين، **علم الاجتماع الانتروبولوجي**، مركز البحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، ١٩٧٧

٢ – حسن عزوزي، **إسهام الجامعات الإسلامية في الحضارة الاسلامية**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، ايسيسكو، المملكة المغربية ، ٢٠١٠

٣ – عبد الغني مغربي ، **الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون** ، دار القصبة ، الجزائر ، ٢٠٠٦

٤ – محمد ابراهيم عبد المجيد، **علم الاجتماع النشأة والتطور**، المشكلات الاجتماعية، ط١، مؤسسة رؤية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية، ٢٠٠٧ .

٥ – محمد منير مرسي، **التعليم الجامعي المعاصر، قضاياه واتجاهاته**، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٧٧

٦- عنصر العياشي، **أي غد لعلم الاجتماع" نحو علم الاجتماع نقدي"**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994

٧- *عنصر العياشي: سوسيولوجيا التمرد والديمقراطية بالجزائر،دار أمين للطباعة والنشر، ط١،القاهرة، ١٩٩٩ .*

٨- غاستن باشلار، الفكر العلمي الجديد، ترجمة عادل العوا وآخرون، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، دمشق،١٩٦٩

الرسائل والمذكرات :

١ – أحسن زروق ، **العلوم الاجتماعية و الانسانية في الجامعة الجزائرية** ، مذكرة ماجستير ، معهد العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة الجزائرية ، ٢٠٠٦

٢ – أحمد زرزور ، **تقييم تطبيق الاصلاح الجامعي الجديد نظام ليسانس – ماستر – دكتوراه في ضوء تحضير الطاية الى عالم الشغل** ، مذكرة ماجستير ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم علم النفس و علوم التربية و الأرطوفونيا ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦

٣ – الويزة سي محمد ، **دور نموذج التحليل و علاقته بالمعرفة السوسيولوجية** ، مذكرة ماجستير ، علم الاجتماع المنهجية ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩

٤ – جلال عبد الحليم ، **الرضا الوظيفي لدى الاساتذة الباحثين في الجامعة الجزائرية** ، رسالة دكتوراه علوم ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم علم اجتماع تخصص ادارة الموارد البشرية ، ٢٠١٥ / ٢٠١٦

٥ – جميلة شلغوم ، **واقع السسيولوجيا في الجزائر في ظل الحداثة و ما بعد الحداثة** ، مذكرة ماجستير ، علم اجتماع تنظيم و عمل ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، ٢٠١٢ / ٢٠١٣

المنشورات:

١ – ابراهيم بن داود، **الوسطية والاعتدال ودور الجامعة الجزائرية في تكريسها** ، جامعة الجلفة ، الجزائر .

٢ - حسن رمعون ، **الجامعة نتاجا للتاريخ و رهانا مؤسساتيا : حالة الجزائر و العالم العربي** ' مداخلة قدّمت في الملتقى الوطني الذي نظمته في ٣ و4 جوان ١٩٩٦ ، جامعة قسنطينة حول موضوع "أي جامعة لاقتصاد السوق ؟

٣ - رياض عزيز هادي ، **الجامعات (النشأة و التطور – الحريّة الأكاديمية – الاستقلالية)** ، مجلة سلسلة ثقافة جامعية ، مجلد ٠٢ ، عدد ٠٢ ، جامعة بغداد ، العراق ، ٢٠١٠

٤ – سعيد عيادي ، **التجربة السوسيولوجية في الجزائر** ، مجلة افاق لعلم الاجتماع ، العدد ١ ، جامعة سعد دحلب ، البليدة ، ٢٠٠٧

٥ – ليلى زرقان ، **إصلاح التعليم العالي الراهن lmd و مشكلات الجامعة الجزائرية** ، دراسة ميدانية بجامعة فرحات عباس ، سطيف ٢ .

٦- نورة قنينة، **الممارسة السوسيولوجية وتمثلاتها لدى أساتذة علم الاجتماع**، أعمال الملتقى الوطني حول- :علم الاجتماع والمجتمع الجزائري أية علاقات، وهران: ٠٤-٠٥-٠٦-ماي-٢٠٠٢، دار القصبة للنشر، الجزائر،2004

٧-يوسف سعدون: قراءة نقدية حول علم الاجتماع العربي، ٢٠١٥/٠١/٠٨ .

٨-صالح سليمان عبد العظيم، أزمة علم الاجتماع في العالم العربي، ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٧ .

٩- *الفضيل رتيمي: واقع علم الاجتماع، ٢٦ مارس ٢٠١٤*

Les ouvrages étranger

1- Badawi Zaki, **Dictionnaire of sociology science**. Beyrouth ; Library of lobnane, 1985.